علي مصطفى مشرفة

من رواد العلم فى القرن العشرين

(١٨٩٨ ـ ١٩٥٠)

دكتور أحمد فؤاد باشا

أستاذ الفيزياء

ووكيل كلية العلوم ـ جامعة القاهرة

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

٩٤ شارع عباس العقاد ـ مدينة نصر ـ القاهرة

ت : ٢٧٥٢٧٩٤ ـ ٢٧٥٢٩٨٤

٥٢٥,٣ أحمد فؤاد باشا.

أح ع ل على مصطفى مشرفة: مـن رواد العلم فى القرن العشرين: ١٨٩٨ - ١٩٥٠ / أحمـد فؤاد بـاشا . ـ القـاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٩٨.

٤٨ص؛ مص؛ ٢٤سم.

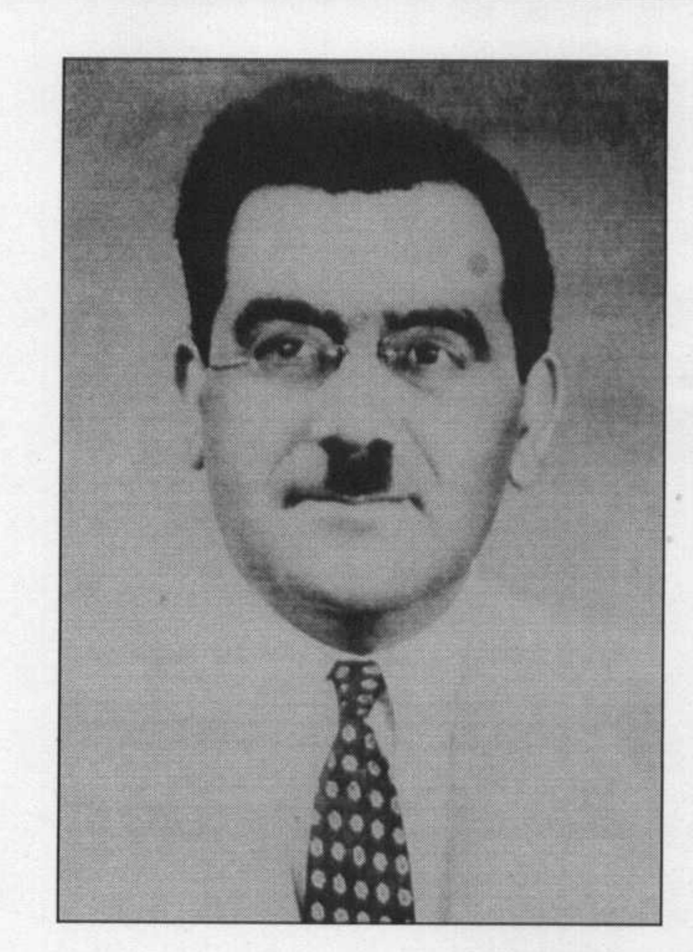
ببليوجرافية: ص٤٨.

تدمك: ٢- ١١٤٢ - ١٠ - ٩٧٧.

١- عـلـى مـصـطـفـى مـشـرفـة، ١٨٩٨ - ١٩٥٠.

٢- العلماء العرب. أ- العنوان.

المحتويات



الأستاذ الدكتور علي مصطفى مشرفة

قالوا...

«. . لقد كان مشرفة رائعا، وكنت أتابع أبحاثه فى الذرة بكل ثقة، لأنه كان من أعظم علماء الفيزياء».

ألبرت أينشتين

«. . كان مشرفة أستاذًا بحق. . وهو المصرى الوحيد الذى يمكن أن تسند إليه أستاذية الرياضة التطبيقية بالجامعة المصرية».

نيلز بوهْر

«. . كان مشرفة من أعظم علماء الفيزياء الرياضية فى العالم. . وقد كنت أتطلع بثقة بالغة إلى الأعمال العظيمة التى كان قائما بها فيما يتصل بأبحاث الذرة»

السير أوين ريتشاردسون

«. . أمثال مشرفة من النابغين النابهين، الذين يرفعون ذكر أوطانهم، والذين يضيفون إلى الكنوز الإنسانية فى العلم والمعرفة، أمثاله قليلون، إذا خسرهم الوطن، فلا بد من صبر طويل، وانتظار متصل، قبل أن نظفر بمن يخلفهم، وإذا فقدهم العلم، فلا بد له كذلك من انتظار حتى يجد من يتم ما بدأه».

طه حسين

«قد عرفت الدكتور مشرفة سياسيا، وشاعرًا، وفيلسوفا، وأديبا قبل أن أعرفه عالما. كنت أحس معه أننى فى حضرة دائرة معارف من عدة أجزاء، كل جزء متخصص فى فن من الفنون أو علم من العلوم».

مصطفى أمين

« ليست الواقعيـة فى فكر «الرَّجُل» هى البعد عن الغيبـيات، فهذا منهج فى الواقعيـة ينتهجه الملحدون ومن هم قـريبون منهم فى اتجاهاتهم الدينية، ولا هى بالإذعان للواقع المسـتقر والخضوع للنظم المسـتتبة، وإنما هى واقعـية التغـيير التى تضع فى الاعـتبار ديناميـكية الزمن وإستـاتيكية القيم»

محمد الجوادى

«من النواحى البـارزة فى حـيـاة مشـرفـة إيمانه العـمـيق بالبـحث العـلمى، وكفاحـه المتواصل لخلق روح علمية خـيِّرة، رائدها البحث عن الحقـيقـة، وهو لا يغفل فى كـل ذلك ما يفـيده المجتـمع من البـحوث العلميـة، وكان له القدح المعلى فى مـجال البحث العلمى، وكان اسـمه لامعا بين علماء الطبيعة الرياضية، وكان فى كل بحوثه فى مركز القيادة، وكم فخـرت مصر باسمـه يذكر فى الكتب والمجلات العلميـة، وبصوته يرتفع فى محافل العلماء».

محمد مرسى أحمد

«أدهشنى أن عالما مـتخـصصا فى الرياضـيات العليـا يمكن أن يهتم برواية «عودة الروح».. إنه على اطلاع واسع بالثقافـة وفروعها من أدب وفكر وفن... كيف أمكن أن يوجد لدينا عـالم مصرى من هذا الطراز؟ يظهر أن مصر فى ذلك العهد قد نـهضت وهى حبلى برجال ما كان أحد يظن أن فى إمكانها إنجابهم فى هذه الفترة»

توفيق الحكيم

«نال مشـرفة لقب الباشـوية، وهو غنى عنه بلقبه العلمى ومـركزه العالمى، ولعل اللقب هو الذى كان مفتقرًا إلى أمثال «علي مشرفة» ليسترد بعض اعتباره، ويعتذر عن طول ابتذاله»

عبده حسن الزيات

خير خلف لخير سلف

آمن علماء الحضارة الإسلامية بدور العلم ومكانته فى حياة الإنسان، وأدركوا أنه لا تعارض بين العلم والدين، وأن النشاط العلمى لا بد أن يكون منسجما فى بداياته وغاياته مع مبادئ العقيدة الإسلامية ومقاصدها وغاياتها، وأن العلم الذى يحصلونه ينبغى أن يكون مسخرا لخدمة الدين الإسلامى وإعزاز الأمة الإسلامية، وأن يكون فى الوقت نفسه عامل تقدم وازدهار وارتقاء لحياة البشر على الأرض، ولهذا فإنهم سخروا علمهم للدفاع عن عقيدتهم ونصرة دينهم على أساس الحق والعدل ومحاربة الباطل والظلم والتخلف، ولم يسخروا معارفهم فى صنع وسائل الدمار والهلاك واستعمار الشعوب. . وكانوا يبحثون فى مختلف العلوم على أساس إيمانى، فالحساب كان ضروريا للمواريث والوصايا والمعاملات التجارية، والفلك لمعرفة مواقع البلدان ومواقيت الصلاة وفصول السنة والمواسم الدينية، والفيزياء لفهم القوانين العاملة فى الكون الذى نعيش فيه، وعلم النبات لمعرفة خواص مختلف النباتات ومنافعها ومضارها وآفاتها وطرق غرسها ورعايتها وعلاج أمراضها، وهكذا بالنسبة لبقية فروع المعرفة العلمية.

وعلى ضوء هذه الروح العلمية الإيمانية التى رفع منارها دين الإسلام الحنيف، مهرَ علماء الحضارة الإسلامية لتحصيل كل جديد فى العلوم وتطبيقاتها، وقدموا أقوى دليل على أثر الإيمان فى إثراء الفكر وازدهار الحضارة، وظلت مؤلفات الكندى وابن سينا وابن الهيثم والبيرونى والخوارزمى وغيرهم مراجع معتمدة حتى عهد قريب، ينهل منها العلماء والباحثون فى بلاد الشرق والغرب على حد سواء.

ولعل أهم ما يميز علماء الحضارة الإسلامية أنهم سبقوا - بفضل الهدْى الإسلامى - إلى فهم طبيعة العلم والتقنية بما يصحّح الاستخدام

الإنسانى الخـاطئ لهما على نحـو ما حدث بعـد ذلك على أيدى أنصار الفلسفات المادية والمذاهب الوضعية البعيدة عن هدْى الله تعالى.

وإذا كان بعض المستشرقين والمؤرخين يسـعون إلى التهوين من شأن الحضارة الإسـلامية ودورها الرائد فى دفع مسيـرة المدنية، ويشكّكون فى قدرات العـقلية الإسـلاميـة على الإبداع والابتكار، ويتخـذون من واقع التخلف الذى تسـربلت فيه الأمة الإسـلامية دليلا على صـدق دعواهم، فإن الحق غير مـا يزعمون، فالمخطوطات العربية والإسلاميـة المدونة فيما يسـمى بمرحلة التخلف عند المـسلمين تشهـد بأن عطاءهم الحضـارى لم ينقطع حتى عصرنا الحاضر، بالرغم من تخلّيهم عن الريادة وتخلفهم عن الركب الذى كانوا فى طليعته.

ويعتبـر الدكتور علي مصطفـى مشرفة واحدًا من أبرز علـماء القرن العشرين الذين شاركوا فى صنع الثورة العـلمية التى تجنى البشرية ثمارها اليوم، ومن حقه علينا أن نعرّف الأجيال بمآثره العلمية وجوانب شخصيته الموسوعية التى جعلت منه خير خلف لخير سلف، فقد كان نموذجًا للعالم المفكر الذى جـمع، إلى جـانب النبـوغ العلمى، ثقـافة شـاملة ضـمت الأدب، والفلسفـة والتاريخ والسياسـة والموسيقى، وأقـام بناء شخصيـته المتكاملة على رؤية إيمانيـة واضحة، ونيَّة خـالصة نقيـة، لتحقـيق رسالة العلم النافع للمجتمع والأمة، ابتـغاء مرضاة الله، ودليلنا فى ذلك عبارة كتبها فى خطاب إلى صديق لوالده، وهو فى مـقتبل العمر قبل أن يكمل العشرين ربيعا، حيث يقول:

«.. أما وقـد تطورتُ فى طور جديد من أطوار حيـاتى، أسأل الله أن يجعله سبيلا إلى تقواه، ومعينا على طاعته، ومقربا من جنة رضوانه..».

إن وجود أمثـال الدكتور على مصطفى مـشرفة فى حيـاتنا المعاصرة يمثل ومضـة تصلنا بعصر الازدهار الأول، ويؤكـد إمكانية تحقـيق البعث الحضارى للأمة إذا مـا أعيد ترشيد العقـل الإسلامى لينطلق فى تفكيره، كمـا كان، من ثوابت الدين الإسلامى الحنيف، العـقيدية والعـملية، ثم يتـحرك فى إطار المتـغيـرات المرتبطة بهـذه الثـوابت، والمناسبـة لطبيعـة العصر، والمستشرفة لآفاق المستـقبل؛ وذلك مصداقا لقوله تعالى فى كتابه الكريم: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴿١٥٣﴾ ﴾ [**الأنعام**] .

* * *

نبوغ مبكر

ولد علي مصطفى مشرفة فى يوم ٢٢ من صفر سنة ١٣١٦ هـ الموافق ١١ يوليو ١٨٩٨ م فى حى المظلوم بمدينة دمياط، وهو من أسرة ميسورة الحال تعتز بشرف نسبها، وكان والده الشيخ مصطفى عطية أحمد جعفر مشرفة من المجتهدين فى علوم الدين، والمتأثرين بمدرسة الإمام جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده، والمتبعين نهجهما فى التجديد الدينى والإصلاح الاجتماعى ورفض البدع.

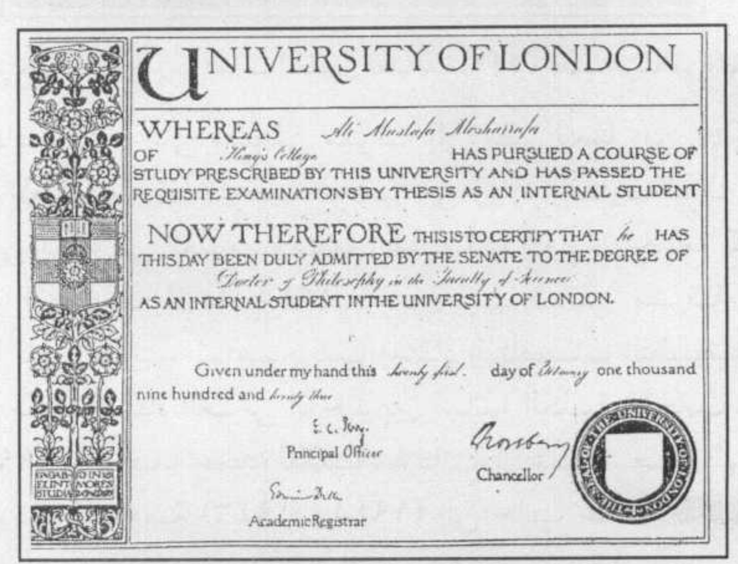
وفى عام ١٩٠٨ م فقد والده ثروته كلها على إثر إحدى أزمات القطن الشهيرة التى تسبب عنها تدهور أثمان الأراضى وانهيار حال الأغنياء، فتبدل حال الأسرة، وازداد الأمر سوءًا بعد وفاة العائل فى عام ١٩١٠م، وكان «عليّ» وقتئذ يستعد لامتحان الشهادة الابتدائية، لكنه - رغم كل الظروف القاسية التى ألمت به - أظهر نبوغا بإحراز المركز الأول فى هذه الشهادة على جميع طلاب القطر المصرى سنة ١٩١٠ م.

وانتقلت الأسرة إلى القاهرة، حيث واصل «عليّ» تعليمه الثانوى والعالى، إلى أن تخرج من مدرسة المعلمين العليا عام ١٩١٧ م، وكان ترتيبه الثانى بالرغم من نكبته بوفاة والدته التى كان يحبها حبا جما، فى عام ١٩١٦ م، فأهّله هذا التفوق للسفر فى بعثة إلى إنجلترا لإتمام دراسته والحصول على دكتوراة الفلسفة Ph. D فى فبراير ١٩٢٣ م من كلية الملك بجامعة لندن، وهى أقصر مدة تسمح بها قوانين الجامعة، وتم انتخابه عضوا فى الجمعية الملكية الإنجليزية، ونشرت له أبحاث كثيرة فى أشهر المجلات العلمية الإنجليزية، ثم عاد إلى مصر ليتسلم العمل بمدرسة المعلمين العليا.

لكن طموح الشاب «علي مشرفة» لم يتوقف عند هذا الحد، فتمكن من الحصول على إجازة لإتمام دراساته وبحوثه فى إنجلترا على نفقته



صورة مشرفة بأنجلترا عقب سفره إليها فى البعثة



UNIVERSITY OF LONDON

WHEREAS *Ali Mustafa Mosharrafa*
OF *King's College* HAS PURSUED A COURSE OF STUDY PRESCRIBED BY THIS UNIVERSITY AND HAS PASSED THE REQUISITE EXAMINATIONS BY THESIS AS AN INTERNAL STUDENT

NOW THEREFORE THIS IS TO CERTIFY THAT *he* HAS THIS DAY BEEN DULY ADMITTED BY THE SENATE TO THE DEGREE OF *Doctor of Philosophy in the Faculty of Science*
AS AN INTERNAL STUDENT IN THE UNIVERSITY OF LONDON.

Given under my hand this *twenty first* day of *February* one thousand nine hundred and *twenty three*

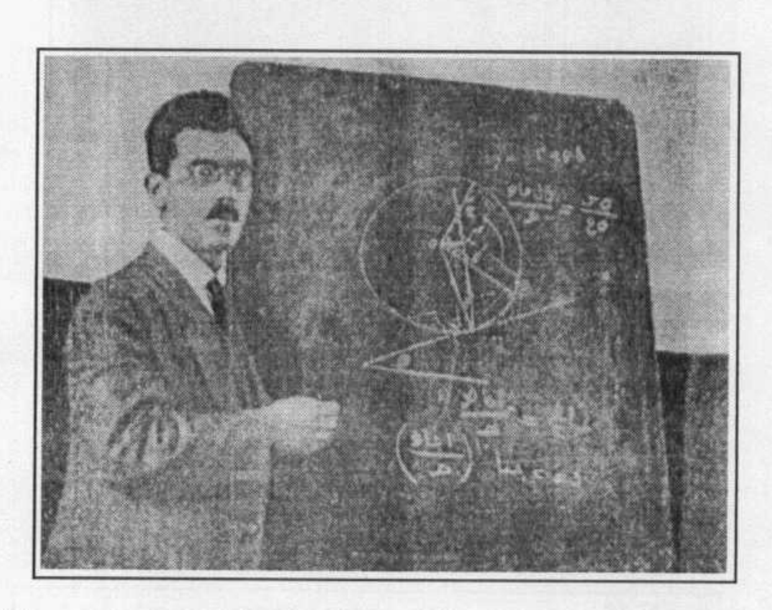
Principal Officer

Chancellor

Academic Registrar

درجة الدكتوراه فى الفلسفة لمشرفة

الخاصة، ونال درجة دكتوراه العلوم D. Sc. من جامعة لندن عام ١٩٢٤، فكان بذلك أول عـالم عربى يحـصل على أعلى درجـة علميـة تمنحهـا جامعات بريطانيا وعمره لم يكن تجاوز ستة وعشرين عاما، ولم يسبقه فى الحصول عليها على مستوى العالم سوى عشرة علماء فقط.



الدكتور مشرفة وهو يدرس بمدرسة المعلمين العليا سنة١٩٢٤ م عقب عودته من إنجلترا.

وعاد الدكتور على مصطفى مشرفـة إلى مصر ليعمل من جديد فى مدرسـة المعلمين، فكان الموظف الوحـيد فى وزارة المعـارف آنذاك الحائز على أعلى درجة فى العلوم. وعندما أنشئت كلية العلوم بالجامعة المصرية (جامعـة القاهرة حاليا) عام ١٩٢٥ م، عين فيـها الدكتور مشرفـة أستاذا مسـاعدا للريـاضيات، ثم مـنح لقب أستـاذ الرياضيـات التطبيـقيـة عام ١٩٢٦، فكان الأستاذ العـربى الوحيد بين أساتذة الكلـية الأجانب. وفى عام ١٩٣٦ تم انتخـابه عميداً للكليـة، وكان أول عميد مـصرى لها، ثم انتخب وكيلا للجامعـة (١٩٤٦ ـ ١٩٤٨) إلى جانب عمادته للكلية التى استمرت حتى وفاته فى يوم الإثنين الموافق ١٥ يناير ١٩٥٠ م.

إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء

إن وجود الخالق سبحانه وتعالى حقيقة مؤكدة، والإيمان به أمر فطرى فى الأنفس؛ ولذا فإن أوّل شعور يشرق فى أعماق الإنسان إذا تأمل فى نفسه، وفى الكون من حوله، هو شعوره بوجود قوة كبيرة مهيمنة على الكون تدبّره وتنظمه، وتتصرف فيه بالحياة والموت والبقاء والفناء والتغير والتطور، والحركة والسكون، وكل ما يجرى فيه من أبعاد حكيمه.

والبحث العلمى المتجرد عن الهوى والتعصب لابد أن يصل بالباحث إلى نتائج من الواقع الكونى توافق إحساس الفطرة الصادقة، وتوصل إلى الإيمان الخالص بالله تعالى وبصفاته الجليلة، وبكل مبدأ قرره الإسلام.. إسلام القرآن الكريم والسنة المطهرة.

من ناحية أخرى، يأتى الإيمان الخالص لله سبحانه تعالى فى مقدمة الثوابت التى ينبغى أن تشكل عقلية العلماء، وإليه تُعزى القوة الدافعة لملكات الإبداع والابتكار، وبه يكون العقل أقدر على كشف الحقائق، وأكثر تهيؤا لاستقبالها وقبولها، وفى كنفه تنكشف أمام الملكات الإدراكية للإنسان آفاق جديدة لم تكن فى الحسبان، ويُماط اللثام بإذن الله تعالى عن الأساليب الخفية والأسرار الكامنة من العلم الإلهى الشامل، وذلك مصداقًا لقوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة]

ولقد كان الدكتور علي مصطفى مشرفة عالما مؤمنا بالله تعالى على هدى وبصيرة. فقد درس الديانات السماوية دراسة مقارنة، وحفظ القرآن الكريم، كما حفظ الصحيح من الأحاديث النبوية، وكان حاضر الذهن فى كل حين لاستحضار الصورة الكاملة للمفاهيم الدينية فى مختلف القضايا، والاستشهاد فى أحاديثه اليومية بآيات من القرآن الكريم وأحاديث الرسول الأمين ﷺ، وكان يحمل فى جيبه على الدوام مصحفا

صغيرا، ويحرص على أن يتم واجباته نحو ربه بإيمان العالم الذى تعمق فى العلوم، وطوّف بأبحاثه فى أرجاء الكون بدءًا من الذرة ونواتها، وانتهاء بالمجرّة وأجرامها، وعرف أن نسبة حجم الإنسان إلى حجم العالم تصلح لأن تكون تعريفا جيدا للصفر الرياضى، كما أن أقصى قوة لعضلاته لا تزن مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء، ومع ذلك ففى هذا الجرم المتناهى فى الصغر أكبر معجزة فى الكون بأسره، لأنه - كما يقول مشرفة - كاد أن يصل بعقله وعلمه إلى محيط الكون، فقدّر أبعاده، وقاس عظَمه.. ولأن سرّ الأسرار فيه هو ذلك القبس المقدس الذى نشعر جميعاً أنه يميز الإنسان على سائر الحيوان، تلك القوة الروحية التى تحرك فينا حب الحق وحب الخير وحب الجمال، وعلى قدر استجابة البشر لذلك الداعى تأتى عظمتهم ورفعة شأنهم.

ويعبر مشرفة عن فلسفته الإيمانية فى إحدى مقالاته بقوله: «.. **وعندى أن ما وصل إليه الإنسان من العلم، وما ترتب على ذلك من قدرة واختراع، إنما جاء على قدر طلبه للحقيقة وشغفه بالحق، كما أن حب الحق وحب الخير إنما يتفرعان من حب الجمال، فالحق والخير جميلان، ولذلك فمن أحب الجمال أحبهما جميعا... والعلماء إذ يبحثون عن الحقيقة يسمون بعقولهم إلى سدرة المنتهى، وهم إذ يكشفون عن أسرار الكون تمتزج نفوسهم بالحق والجمال..**»

ويقول أخوه الدكتور عطية مشرفة: «.. كان (عليّ) مسلما حقا، يعبد خالقه، ويعمل بأوامره، ويتجنب العمل بنواهيه، ألم يقرر الإسلام أن العلماء وحدهم هم الذين يخشون ربهم من بين العباد، إذا هم سلكوا طريقهم إلى معرفة الله عن طريق العلم، فقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** ﴿٢٨﴾ ﴾ [**فاطر**]، ألم يرفع القرآن شأن العلماء كما فى قوله تعالى: ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴿١١﴾ ﴾ [**المجادلة**]. ولذلك

كان يصلي ويصوم حتى فى بلاد الإنجليز، وكانت كل خطاباته لنا ـ نحن إخوته الصغار ـ تحض على المحافظة عليهما، وكان يبدأ خطاباته بالبسملة، وبقوله: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ويتغنى بفضل الله عليه بقوله: الحمد لله الذى أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة. ربنا ما خلقت هذا باطلا، سبحانك أنت علام الغيوب، ويختم رسائله غالبا بقوله: نسأل الله أن يسدد خطانا أجمعين. . وكان يحض زملاءه على وضع روايات أساسها تاريخ النبى عليه الصلاة والسلام، أو تاريخ الخلفاء الراشدين، والحوادث الإسلامية، فلا يجروا وراء الغربيين حتى فى رواياتهم، كأن ليس لنا تاريخ أو مجتمع نفكر فيه. . »

وكتب علي مصطفى مشرفة فى رسالة لأحد أصدقائه يقول: «حبل الله يا أحمد اعتصم به»، وفى رسالة أخرى يعاتب نفس الصديق عندما صبّ جام غضبه على كل شىء لوفاة شقيقته، فيقول: «أيتها النفس المضطربة، أنت شيطانة نعوذ بالله منك، ونربأ إليه من شَرّك. . كلاً ثم كلاّ يا أحمد، ليست هذه سبيل المسلم، ما كان هذا من الإيمان فى شىء. . فاعتصم بحبل الله، ذلك الدين القيم، تلك عظة لك وادكار، ومسْبرة لإيمانك وجهدك. . المسلم ركنه الله. الله الذى خلق كل شىء ويدبر كل شىء. الله الذى ينصر ناصره، هو أقرب إليه من حبل الوريد. المسلم بين هذه الدياجر سراجه إيمانه وبصيرته، ثم إذًا هو عائد إلى بارئه ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾ [الفجر]، ولو شئت لطأطأت رأسك فمرت الموجة الهائلة، ولكن الشيطان دأبه أن يأمرك فترتفع رأسك يلطمها الماء، ثم إذا أنت فى سكرة يعبث بك كما تعبث القطة بفأرها. . متع نفسك بسرور الدنيا الطاهر، وكُن إنسانا مسلما».

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الرسالة ٤

UNIVERSITY COLLEGE,
NOTTINGHAM.

٩ ذي الحجة سنة ١٣٣٦ (١٤ سبتمبر ١٩١٨) 191

أخي أحمد السلام عليك ورحمة الله وبركاته قرأت خطابك
إلى أخي إسماعيل تذكر فيه خبر وفاة المرحومة شقيقتكم فحزنت
لحزنك، وسألت الله للفقيدة المغفرة.
ما هذا الذي أنت فيه يا أحمد؟ أحسبت نفسك مركزاً للكون تصادفه
إما وفق مرامك وإما صببت على كل شيء جام غضبك.
الفقيدة نشهدها بالرضا رحمته فتركت فيما تركت في هذه الحياة
الدنيا إذا صاحت بجانبك أشعر بأن لا فرح وساخط
ناقم لا كاملاً تولى لا تعلم له أنه رضيت لا سرى لي.
أين النفس المطمئنة، أهذه الإرادة الساخطة أنت ستطاعة
نفسه ما أمر ... وربما إليه من شرك كلا ثم كلا يا أحمد
ليست هذه سبيل المسلم يا أخي. هذا من الإيمان في شيء
وكلنا قد فقد عزيزين وعزيزات فما نعتصم بحبل الله ذلك الدين
القيم. فذلك عظة لك وادكار، وتبشرة لإيمانك وعزمك
أفحسبت أن تعيش منها رغداً كالجبل ينزل على الجليد
يا أخي لك إن كنت مستنكراً ذلك هل هي الصدمة تتمطى
أم الصدمة وبينا الشمس مشرقة بهجة إذا بالماء صفعة
تختطف القلوب من بين الصدور والسلام يكلمه الله.
لله الذي خلق كل شيء ويدبر كل شيء الله الذي يبصر
أمره، وهو أقرب إليه من حبل الوريد في المسلم
هذه الدواهي سواجه إيمانه وصبره ثم إذا هو عائد
إلى بارئه "يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية
مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي"
ما رأيت أن أرى لك بهذه الصدمة كذبت والله
إن فترت ولو شئت لطالت إرسالك نحو الوجهة الرسالة

الرسالة الرابعة لصديقه الدكتور أحمد رياض بينها بالحبر الشيني أحمد الـكتبة

الرسالة ٤
صفحة ٢

UNIVERSITY COLLEGE,
NOTTINGHAM,

............1916.

ولكنه الشيطان رأيه أن أرك نرفع رأسك يلطمك الماء ثم إذا أنت
في سكرة يعبث بك كما عبثت القطة بفأرها. أما وقد كان
من أمرك ما كان فلك السبيل واضح بين واحاتك كراتبه؟
وإلا فسارع إليه قبل فوات الأجل
واعمل بجهلك. واعمل كأنما يا نبيت له نفسك وتمتع نفسك
بسرور الدنيا الطاهر وكن شاباً نشيطاً

أخوك
علي

حاشية: أرسلت إليك صورتي يوم مولدي في العشرين مع
صورة لعزيز اسماعيل في نفس اليوم لعلك رأيتها قبل

تابع الرسالة الرابعة لصديقه الدكتور أحمد رياض بإنبابة بالحبر الصيني أحمد السكتبية

عطاء علمى متصل.. وطموح لا يتوقف

عاصر مشرفة مرحلة الثورة العلمية الحديثة التى بدأت معالمها مع بدايات القرن العشرين بظهور نظرية جديدة تنسب إلى العالم الألمانى «ماكس بلانك» وتقضى بأن الطاقة الحرارية والضوئية لا تنبعث من الأجسام الساخنة بشكل مستمر كما يخيل للبعض، وإنما تنبعث على شكل «دفقات» أو «نبضات» متتابعة، لكل منها «قدر» أو «كم» معلوم. ولذا عرفت هذه النظرية باسم «نظرية الكم» Quantum Theory، وكانت موضع بحث علماء الطبيعيات الذين وجدوا فيها تفسيرا مقبولاً لكثير من الظواهر الطبيعية.

كذلك ظهر التفسير الذرى لانبعاث الضوء وامتصاصه، استنادًا إلى نظرية العالم الدانمركى «نيلز بوهر» التى تقضى بأن مدارات الإلكترونات حول نواة الذرة تقابل مستويات أو مناسيب معلومة للطاقة. فإذا هبط إلكترون من أحد هذه المناسيب إلى منسوب أدنى، انطلق فرق الطاقة فى شكل موجة ضوئية يمكن حساب ترددها وتحديد موضعها فى الطيف الضوئى.

وكان الدكتور مشرفة ملما بتاريخ العلم وفلسفته، ومدركًا لطبيعة العلم وأصول البحث العلمى، فقد وصف جانبا من حالة الثورة العلمية فى عصره بقوله:

«إن نظرية الكم أحدثت شبه انقلاب، لا فى مباحث تركيب الذرة فحسب، بل فى دائرة أوسع من ذلك كثيراً تكاد تشمل العلوم الطبيعية والكيميائية بأسرها. بل لقد تعدى الانقلاب دائرة العلوم التجريبية إلى المباحث الفلسفية، فنشأت طائفة من الآراء والمباحث الفلسفية كان لها خطرها فى تطور العلوم الفلسفية ذاتها. من ذلك أن مبدأ السببية، ذلك

المبدأ الذى يفترض ارتباط العلة بالمعلول ارتبـاطا ثابتا، والذى كان لتطبيقه أثر واضح فى نهضة العلوم الحديثة، هذا المبدأ قد تطرق إليه الشك، فبدأ العلماء يتكلمون بلغـة الاحتمال بدلاً من لغة الجزْم والتـوكيد التى كانت متغلبة فى القرن الماضى . . .

وهكذا عـاد بنا البحث عن تـركيب الذرة إلى حـيث بدأ، أى إلى الناحية المنطقية الشكلية، وليس معنى هذا أن البحث فى تركيب الذرة قد أصبح ضـربا من ضروب الكلام، بل بـالعكس، لم يكن العلم فى وقت ما أكـثر اتصالاً بالحقـيقة الواقـعة، ولا أكثر انتـصارًا فى ميـدان التطبيق العملى، ميدان الكشف والاختراع، مما هو اليوم . . ».

* * *

كان معروفا فى البحوث الطيـفية أنه إذا تعرضت المادة لمجال كهربى تغير طيفها، فظهر مكان الخط الواحد خطان طيفيان أو أكثر، وهى ظاهرة معروفة باسم «تأثير شتارك» Stark effect. ومثل ذلك يحدث إذا تعرضت المادة لمجال مغناطيسى، وهى الظاهرة التـى يطلق عليها اسم «تأثير زيمان» Zeeman effect. وقد دارت بحـوث مشرفـة فى بادئ الأمر حـول تطبيق نظرية الكم بصورة معـدلة لإيجاد تفسير نـظرى لظاهرتى شتارك وزيمان، ونشر خمسة من هذه البحوث فى مجموعة أعمال الجمعية الملكية بلندن، وهى البحوث التى نال من أجلها درجتى دكتوراه الفلسفة ودكتوراه العلوم ولم يكن قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره.

ويتصل القسم الثانى من بحوث مشرفة بالعلاقة بين المادة والإشعاع، وكان من أول القائلين بأنه يمكن اعتبارهما صورتين لشىء واحد يتحول أحدهما إلى الآخر، وقد اقترن اسمه بهذه النظرية، واستشهدت المراجع العلمية برأيه، وأثنى عليه العلماء المشهورون أمثال «جيمس جينز» و«أولفر لودج» و«أوين ريتشاردسون» وغيرهم.

يقول السير «أولفر لودج» فى كتابه عن الإشعاع: «.. وثم بحث استرعى انتباهى، وهو بحث الدكتور مشرفة بجامعة القاهرة، فى نشرة الجمعية الملكية للعلوم عام ١٩٢٩، وعنوانه «ميكانيكية الموجة وازدواج المادة والإشعاع»، وفيه يقول: إن كل الظواهر التى تبلغ سرعتها سرعة الضوء نسميها نحن إشعاعًا، بينما الظواهر العالمية التى ليس لها سرعة عالمية، أو عديمة السرعة، نسميها «مادة»، ومعنى ذلك هو أن الفرق بين المادة والإشعاع هو فرق فى السرعة لا أكثر ولا أقل، وهو فرق نسبى، فالمادة بسرعة الضوء إشعاع، والإشعاع فى السرعة الأقل من الضوء.. مادة»!

ولم يكن هذا إلا تمهيدا لبحثه الأصيل الذى نشره فى مؤتمر دولى بزيورخ عام ١٩٣٢ وجعل عنوانه: «هل يمكن اعتبار الإشعاع والمادة صورتين لحالة كونية واحدة»، وهو البحث الذى ذاع به صيت مشرفة بين علماء العالم، ثم أعقبه ببحث آخر نشره فى مجلة المجمع العلمى المصرى عام ١٩٣٤ ودوّن فيه بعض آرائه عن العلاقة بين المادة والإشعاع استنادًا إلى نظريته الجديدة فى التوحيد بينهما.

أما القسم الثالث من أبحاث مشرفة فيدور حول إيجاد هندسة جديدة، أو مقياس للفراغ، يكون فيها مسار الجسيم المشحون بالكهرباء عبارة عن خط «جيوديسى». وقد كانت هندسة الفراغ المبنية على نظرية أينشتين قد تعرضت لحركة الجسيم المتحرك فى مجال الجاذبية فقط، وأثبت

مشرفة أن مسار هذا الجسيم هو خط جيوديسى، مثل كرة ملساء صغيرة، تركتهـا تسقط على جانب أملس بفعل الجاذبيـة، فإنك تجدها ولا مناص لها من اتباع خط واحد فى سقوطها هو الوحيد الذى يصل بها إلى سفح التل فى أقل زمن.

وهناك أبحـاث أخـرى لمشرفـة لا تقل أهمـيـة فى مـجال الضـوء وميكانيكا الكم وانشطار الذرة والتأثيرات المجـالية على المادة، كان آخرها البحث الذى نشر قـبل وفاته بثلاثة شهور فـقط عن النقص فى كتلة نواة الذرة.

وقد حظى الدكتور مشرفة بشهرة عالمية واسعة، حيث انتخب عضوا فى العديد من الهيئات والجمعيات العلمـية الدولية، منها الجمعية الفلكية البريطانية. واختارته الحكومة الأمريكية عضواً فى اللجنة الدولية للأبحاث الذرية.

ويذكـر تاريخ الحركـة العلميـة فى مصـر الحديثة لمـشرفة أنه أنـشأ واشترك فى تأسيس عدد من الجمعيات العلمية، وكان من أول الذين نادوا بأهمية الطاقة النووية وضرورة إنشاء هيئة لرعاية أبحاثها فى مصر. وامتد نشاطه ليـشمل جوانب أخرى تعكـس ما يتمتع به من شـخصية إبداعـية متكاملة، فقـد كان عضواً مؤسسًا لجـمعية الصناعات المصرية، وجـمعية نهضة القـرى، واللجنة الأهلية للرياضة البدنيـة، وجمعيـة إنقاذ الطفولة المشردة، وغيرها.

وكان مشرفة ينوى أن يتوج حياته العلمية بالحصول على جائزة نوبل فى الرياضـيات، وكـان فى سنواته الأخيـرة يرتب بحـوثه ويعدها لهـذا الغرض الذى كان تواقا إلى تحقيقه، ولكن الله شاء أن يموت قبل أن يتقدم لهذه الجائزة.

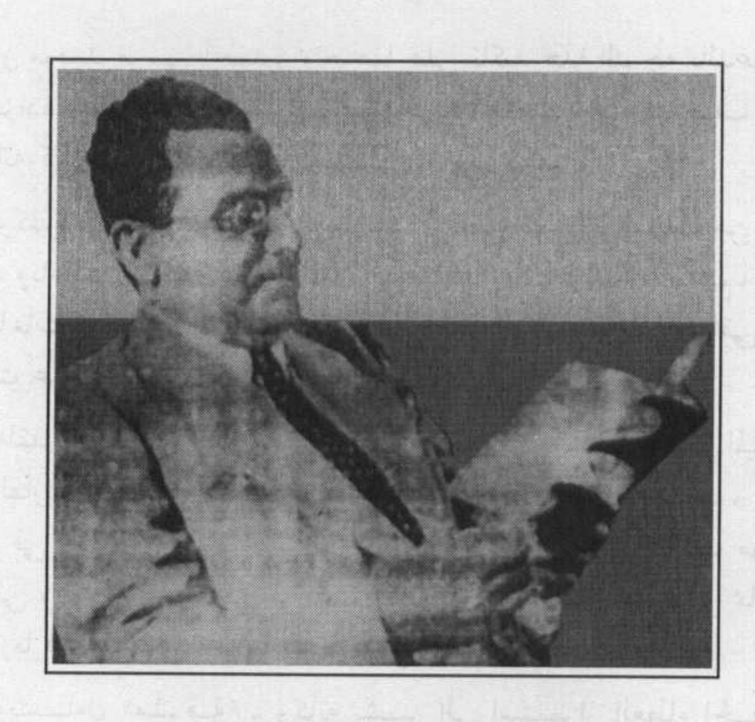
* * *

تأصيل العلوم

العــالم الحقــيقى ليس مــجرد باحث عن الحــقيــقة فى الأمــر الذى يفحــصه بالتجــريب أو البرهان، بل هو صــاحب الفكر العلمى المتكامل الذى يتعامل مع العلم باعتباره نشاطًا إنسانيا له إطاره العقائدى، ورصيده الحضــارى، وهدفه الإنســانى، وهو عندئذ يكون معــنيا بوصف وتقــييم حركة العلم عبر مراحله التاريخية المـتعاقبة للوقوف على عوامل تقدمه أو تعـثره، وذلك من خلال مـتابعته الدقيـقة لطبيعة المفـاهيم العلمية ونموها عبر مراحل تطورها. . . وهذا يعنى أن الجـمع بين الأصالة والمعاصرة من خلال تاريخ العلم وفلـسفته يعـتبر من أهم سـمات الباحث الجـيد الذى يكون بلا شك أقـدر من غـيـره على ممارسـة البحث الـعلمى برؤية أعم ومنهج أصوب وذوق أرقى.

ومن أسف أن يوجد من بين المؤرخين المحدثين والمعاصرين من يشوّه حقائق التاريخ والعلم على حد سواء، وذلك لأسبــاب عرقية أو مذهبية، وغالبا ما يطرح هؤلاء المؤرخون المتحـيِّزون مسألة «العلم القومى» لإزكاء النزعـة القومـيـة، والمبالغـة فى إثبـات أسطورة الجنس الآري وتفوقـه، والترويج لمقولة زائفة تقضى بأن العلم الذى أينع فى أوربا النهضة لا يمكن إلا أن يكون غربيا.

ولهذا حرص العــالم المصرى العربى المسلم «علي مصطفى مـشرفة» على أن يؤرخ للعلم فى سـياقه التــاريخى الشامل، إيمانًا منــه بأن تأصيل الثقافة الذاتية لأية أمة، وتعزيز قيمها فى نفوس النشء يجعل سلوك الفرد متوافـقا مع فكر مجتمعـه، وعاكسا لقيـمه ومعتقداته. وأوضح مـشرفة منهجه فى التعامل مع التراث العلمى عمومًا بقوله:



صورة مشرفة فى أحد معامل الكلية

«تعنى الأمم بتراثها العلمى لأنه نوع من الغذاء الروحى لعلمائها ومفكريها وسائر المتعلمين فيها، ولعلنا نحن المصريين أغنى الأمم تراثا، فقد تعاقبت علينا حضارات مختلفة منذ فجر التاريخ إلى اليوم، وفى كل حضارة منها قمنا بقسط وافر من واجبنا العلمى نحو الأسرة البشرية.. وليس يكفى أن نتحدث عن مجدنا العلمى كما لو كان أسطورة أو حديث خرافة يتغنى به الشعراء ويتغالى فى وصفه الخيال، بل يجب أن يظهر هذا المجد فى صورة ملموسة تراها الأعين وتنالها الأيدى، لذلك كان من المهم أن نعنى بنشر الكتب التى وضعها آباؤنا وأجدادنا، خصوصًا إذا كانت هذه الكتب هامة الأثر فى تكييف التفكير البشرى».

وقدم مشرفة فى هذا المجال نموذجًا رائدًا بتحقيق ونشر كتاب «الجبر والمقابلة» لمحمد بن موسى الخوارزمى، واشترك معه فى هذا العمل

الدكتور محمد مرسى أحمد، وحرصا على تأكيد هذا التوجّه بالدعوة إلى الاستـزادة من نشر كـتبنا العلمـية الأخرى المبـعثـرة فى متاحـف العالم ومكتباته كى تصل إلى أيدى الجمهور العربى المثقف.

وكثيرا ما نادى «مشرفة» بوجوب أن نعنى بتمجيد السلف من علماء العرب وباحثيهم فيكون من ذلك حافز للاقتداء بهم وتتبع خطاهم، فتعقد اجتـماعات تذكـارية (تخليدية) فى عـواصم البلاد العربـية، تلقى فيـها البحوث عن علماء العرب وآثارهم. وكان يقول:

«لقد ترجـمت خلال القرنين الـثانى عشـر والثالث عشـر الميلاديين كتب الفارابى، كما ترجمت كـتب الخوارزمى فى الجبر والحساب، وكتب الرازى فى الطب، وكتب جابر بن حـيان فى الكيمياء، وكـذلك مؤلفات الفرغانى والبتّانى والصوفى فى علم الفلك، وهذا قليل من كثير مما انتقل إلى أوربا فى أواخر القرون الوسطى من علوم العرب ومعارفهم».

ويتسـاءل «مشرفـة» ـ وكأنه يشـير إلى استـمرار العطاء الحـضارى للمسلمين حـتى عصـرنا الحاضر ـ فـيقول: «كم من المصـريين يعرف أن عالما مصريا هو محمود الفلكى قد قاس المجال المغناطيسى للأرض، ونشر نـتـائج أبحـاثـه فـى أعـمال المجـمـع العـلمـى الفرنسى بـبـاريس سـنة ١٨٥٦ م، وكم منا يعـرف أن الكشف عن دودة ورق القطن قـد تم على أيدى العالم المـصرى عثـمان غالب عـام ١٨٧٩ م، وكلاهمـا عالم من الطراز الأول يستحق كل إكبار وتمجيد.. ولم لا نشيد بذكرهما كما يشيد غيرنا بذكر علمائهم وباحثيهم؟!».

وهكذا حمل «مشرفة» لواء الريادة فى مجال تأصيل العلوم والتعرف على البيئـة والظروف التى سمحت للأفكار والاكتشـافات أن تولد وتنمو وتزدهر، وتصبح بعـد ذلك فروعا أساسيـة فى شجرة المعرفـة والحضارة الإنسانية.

* * *

إن من البيان لسحرا

كان مشرفة يحب اللغة العربية ويحرص منذ صغره على إتقانها، وكان أستاذه فى العربى بالمدرسة السعيدية، الشيخ المرصفى، لا يناديه إلا بلقب «سيد» لنبوغه، ولما لم تشبعه مناهج التدريس، أصبح يقرأ الكتب التى تقع تحت يده، ثم أغرم بقرض الشعر يافعا.

وكان أقرانه من الكتاب والأدباء والفصحاء يعجبون بسلامة منطقه، وقد حاول أحدهم أن يحصى عليه غلطة لغوية أو لحنة واحدة فى محاضرة عامة طويلة ألقاها، فلم يستطع. وتجلت فصاحته وملكته الجدلية الرائعة فى تلك المناظرات التى ناظر فيها أدباء مصر، أمثال طه حسين وأحمد أمين وعباس محمود العقاد، وكان كثير من الساسة والعلماء والأدباء والفنانين ورجال المجتمع فى عصره يجدون فى صالونه أنفسهم، فهو صاحب الثقافة الشاملة الذى يستطيع أن يشارك بعقله وفكره فى كل قضية مشاركة الخبير المتمكن.

روى الأستاذ توفيق الحكيم أنه تلقى من مشرفة سنة ١٩٣٤ م خطابا يهنئه فيه على كتابه «عودة الروح»، وذكر مشرفة للحكيم فى خطابه أنه كان يتمنى أن يجد فى العربية مؤلفا له المقدرة على تخليد شخصيات الطبقة المتوسطة فى عصره على نحو ما فعله «تشارلز دكنز» فى عصر الملكة فيكتوريا، فلما قرأ كتاب «عودة الروح» عاودته ذكرى هذا الأمل فساءل نفسه: هل استجيب الدعاء؟!

قال الحكيم: «وقد أدهشنى أن عالما متخصصا فى الرياضيات العليا يمكن أن يهتم برواية «عودة الروح» وكان من الطبيعى أن أعرفه بعد ذلك

معـرفة شـخصـية، فـقد دعـانى للغذاء، فـعلمت أنه على اطلاع واسع بالثقافة وفروعها من أدب وفكر وفن». . ثم تساءل الحكيم: «كيف أمكن أن يوجـد لدينا عالم مـصرى من هذا الطراز؟ يظهـر أن مصـر فى ذلك العهـد قد نهضـت وهى حبلى برجال مـا كان أحد يظـن أن فى إمكانها إنجابهم فى هذه الفترة».

ومن طُرفه فى هذه المناسـبة ما ذكـره صديقه عبـده حسن الزيات، قـال: «كنت أسيـر فى قـصر الزعـفران الذى جـمع بين طلبـتى الآداب والعلوم، فأخذ نظرى إعلان معلق على كلية العلوم بين مواعيد الامتحان بالكلية، وقـرأت فيه أن طول الإجابة ثلاث سـاعات، فلما لقيت عـميد الكليـة أو أستاذ المـادة، أى الدكتور عـلى مشرفـة، اعتـرضت على هذا التـعبـير، وقلت إن الإجـابة ليس لها طول ولا عـرض، فرد على للـتو قائلا: ألم يقل عمرو بن العاص فى وصف مصر: «طولها شهر وعرضها شهر»؟ ومع أن المثلين قد لا يتطابقان تمام التطابق، فـإنى أعجبت بسرعة بديهته، ويقظة حجته، وسعة صدره، فقد تطلق ضاحكا بصوت مرتفع، كأنه لا يؤمن تمامًا بصواب رده»!

ومثلمـا كان الدكتور مشـرفة حفيـا باللغة العربية وسـلامة المنطق، حيث وهبـه الله ملكة قوية فى البلاغـة، وآتاه حاسة دقـيقة فى البـيان، وأسلوبا محـكم النسيج، يمتاز بـالسلاسة والسـلامة والإيجـاز والعمق، فكذلك كانت لغتـه الإنجليزية موضع الإعجاب والتقـدير، حتى من كبار الأساتذة الإنجليز الذين استمعوا إلـيه، أو قرأوا كتاباته، وبذلك بزغ نجمه فى الأوساط العلمـية العالمية إلى الحـد الذى شجع الإنجليز أنفـسهم على اختـياره رئيسـا لجمعـية المناقشـات فى الكلية الملكيـة، وكان أول أجنبى

يرأسها. وتقول السيدة «لثبردج» التى كان يقطن عندها وهو طالب يتلقى العلم فى انجلترا: «كانت ليالى جميلة تلك التى كنا نقضيها معه بجوار المدفأة وهو يقرأ لنا «دكنز» بصوته الهادئ الرزين».

وعلى الرغم من هذا المستوى الرفيع الذى وصل إليه مشرفة فى الإنجليزية، فقد كان من أكبر أنصار التعريب للعلم والتعليم، وكان يؤمن بأن التأليف العلمى هو الوسيلة الفضلى إلى إيجاد لغة عربية تكتب بها العلوم.. فأثرى المكتبة العربية بالعديد من الكتب العلمية المؤلفة والمترجمة، وأسهم فى نشر الثقافة العلمية المبسطة.

* * *

فلسفة الأخلاق

تكونت لدى مشرفة رؤية خاصة متميزة فى فلسفة الأخلاق، استمد عناصرها الأساسية من تعاليم دينه الإسلامى الحنيف، وجعل العلم والأسلوب العلمى سداها ولحمتها، واتخذ منها معيارًا للحكم على أخلاق شخص أو مجموعة من الناس، فإن شئنا وصفا جامعًا لهذه الرؤية المتميزة لدى مشرفة، قلنا إنها فلسفة إيمانية مثالية عقلانية، ينشد من خلالها مجتمعا إنسانيا يتخذ من طلب العلم منبعًا من أصفى منابع الحق والخير والجمال. . ذلك أن رسالة العلم رسالة خالدة وأمانة غالية لا يحملها إلا من تطهرت نفسه، وعلت همته، ولا يتلقاها إلا من خشع قلبه للحق، واستنار ذهنه بنور اليقين.

وينطلق مشرفة فى بناء فلسفته الأخلاقية من مثاليته الإيمانية، كعالم رياضى فيزيائى، يرى الكون بعين العلم والعقل، ويفسر ظواهره تفسيرًا منطقيا على أساس الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون وأقامه على أعلى درجة من الترتيب والنظام والكمال، ودبّره تبعًا لقواعد دقيقة ثابتة ومبادئ أبدية راسخة، وسنن ونواميس لا نستطيع لها تبديلا أو تحويلا.

ويوضح مشرفة العلاقة بين العلم والأخلاق على أساس أن طالب العلم طالب حقيقة، ومن طلب الحقيقة أحب الحق، ومن أحب الحق كان صادقا، ومن كان صادقا كان شجاعا، ومن كان شجاعا كان ذا مروءة، ومن كان ذا مروءة كان كريما، ومن كان كريما كان رحيما وأحب الخير، وناصر العدل، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

فإذا أراد امرؤ أن يتأكد من وجود العلاقة بين العلم والأخلاق فعليه أن يبحث عن هذه العلاقة بين الذين يشتغلون بالعلم ويحملون رسالته، لا

بين الذين يلقبون بالعلم أو يحملون شهادته. ذلك أن العلماء الحقيقيين يتخذون من الروح العلمية سبيلا إلى التعامل مع الأمور بنظرة بعيدة عن الغرض، لا تشوبها الشهوة، ولا تتسلط عليها الأنانية. ويرى مشرفة أن هذه الروح العلمية هى وحدها التى تصلح لمعالجة المشكلات العامة، وحل المسائل القومية، سواء أكان ذلك فى ميدان الاجتماع، أو ميدان السياسة، أو ميدان الشئون الاقتصادية والمالية.

ويرى مشرفة أن هذه الفلسفة الأخلاقية المثالية لا تعنى الانفصال عن مشكلات الواقع، فهى باستنادها إلى العلم تُعين على محاربة الفساد والشر فى المجتمع... ويعبر بكلماته عن هذه الرؤية فيقول:

«اليوم، وقد امتزج العلم بحياة الأمم والأفراد، قد صار لزاما على رجال العلم أن يرفعوا لواء المثل العليا، وأن يبتعدوا عن الفلسفة المادية فى جميع صورها وأشكالها، كما صار لزامًا على الشعوب أن يتقبلوا رسالة العلم، وأن يستعينوا بها على محاربة الشر، وقد بينت أن الأرض لا تزال رحبة تتسع للناس جميعًا، وأن القوى الموجودة على سطحها قوى عظيمة، فإذا استعان بها الناس على قضاء حوائجهم، وسخروها لخيرهم ورفاهيتهم، مستعينين بالعلم والروح العلمية، كان لنا أن ننظر للبشرية مستقبلاً يكفل طمأنينتهم وسعادتهم، وسموهم».

ولهذا كان مشرفة يعتقد أن الفلسفة الخلقية وليدة الجماعة، ومن ثم فإنه ينشد الجماعة فى أرفع صورها وأسمى معانيها، ويؤثر عنه قوله: «أرنى جماعة من الناس أدلك على فلسفتهم الخلقية». ولقد كان يرى عيوب المجتمع الإنسانى، ويشكو سقطاته، ويستاء من هفواته وسوأته، ويألم لذلك كله، ولكنه، أبدًا لم يسئ الظن بالإنسانية أو ييأس من خيرها.

ذكر أحد أعوانه أمامه يوما قول أبى العـلاء المعرى فى فساد الطبيعة الإنسانية:

وهكذا كان أهل الأرض مُذْ فُطروا   فلا يظن جهول أنهم فسدوا

فاحتج مشرفة على هذه النظرة المتشائمة، واعترض على إساءة الظن بالبـشرية، فـهو يراها بخـير فـى جملتـها وإن أصـابها سـوء فى بعض أجزائها، وهى سليمة فى كيانها وإن حل العطب ببعض أعضائها.. كان رأيه فى الجماعة مثاليا؛ لأنه يعتـقد فى الخير للخير، وفى العدالة لذاتها، وفى الحق المطلق، وقد كان يؤمن بما يعتقد، ويعمل بما يؤمن به.. وكان يصطدم بالواقع المادى، ويناله من جراء ذلك ضر وأذى، فيعجب ويتألم، ولكنه لا يرجع لأنه لا ييأس.. وما كان لمثله أن ييأس وهو المؤمن القوى الإيمان بالله ورحمته.

* * *

الفنان..

كان مشـرفة يتمتع منذ طفولتـه بحاسة فنية أصـيلة، وذوق جمالى رفيع، فعندما أنشئت فرقة تمثـيلية من الطلبه بدمياط، انضم إليها. وأسند إليه الدور الأول فيها..

ولقد ظهرت موهبة الفنان مشرفة أكثر ما ظهرت فى ميوله الموسيقية التى حرص على صقلها بالعلم والدراسة، وبرع فى ممارستها بالعزف على «البيـانو».. وكان مشرفـة محبا للمـوسيقى الغـربية الراقية، فـقد درس مؤلفـات بيتـهوفن، وفـاجنر، وشوبرت ومندلسـون وغيـرهم من أعلام الموسيقى، وكـان مغرما بموسيقى جلبـرت وسلفن بوجه خاص.. ولكنه حرص على تعريب هذه الموسيقى الغربيـة ليفيد منها أبناء وطنه، وخاصة أنه كان محبا لموسيقانا الشرقـية القديمة، واستطاع أن يجرى أبحاثا علمية بمساعدة الدكتور محمود مـختار لتحديد المسافات أو نسب الترددات التى تبنى عليها السلالم الموسـيقية المستعملة فى مصـر آنذاك، وتمكنا - مشرفة ومختار - من تصميم «بيانو» عربى يضم المفاتيح الإفرنجية مضافا إليها اثنا عشر زراً ينتج عن تحريكها استخراج الأصوات العربية وتصويرها، وكانت فكرة هذا البـيانو قائمـة على أساس إدخـال تعديل مـيكانيكى على الآلة يمكن بواسطته رفع أو خفض عدد ذبذبات الصـوت الواحد، أى النغمة، بمقدار ربع مقام (تون).

وربما لا يعـرف الكثيـرون من هواة الموسـيقى الآن أن الفـضل فى الطريقـة التى يتم بها تعـريب النوتة الموسـيقـية يعـود إلى مشـرفة ورواد «الجمـعية المصرية لهـواة الموسيقى» التى شـارك فى تأسيسهـا عام ١٩٤٢ وانتخب رئيسـا لها، وانبثقت عنها لجنة تولت ترجمـة «الأوبرات» العالمية إلى اللغة العربية.

* * *

قطوف من آراء مشرفة

* **فى العلم والدين:**

القرآن الكريم ملىء بالآيات التى تأمرنا بالنظر فى الظواهر الطبيعية المحيطة بنا، وتحضنا على استخدام الحواس والعقل معا، وإليك بعض هذه الآيات، لا على سبيل الحصر، بل على سبيل المثال:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ (٢٠)﴾ [العنكبوت].

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)﴾ [الحج: ٤٦].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)﴾ [فاطر].

وفى الحديث الشريف: **«طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة».**

فالدين إذًا يشجع على طلب العلم، ويأمر باستخدام العقل وسائر الحواس ويترك الفكر حرا فى تفسير الظواهر الطبيعية، ومنطق العلم منطق سليم فى نظر الدين أساسه المشاهدة، فالعين يجب أن ترى، والأذن يجب أن تسمع، والعقل يجب أن ينظر وأن يفكر، والطريقة الاستقرائية التى قال بها «باكون» إنما مرجعها إلى الحس وإلى التفكير السليم، فهى طريقة تتفق وما أمرنا به الدين من أن نسير فى الأرض وأن نسمع وأن ننظر.

ولكن هل الحياة البشرية، هل النفس البشرية، هى مجرد أن نرى وأن نسمع وأن نعلم، وإن العلم بهذا المعنى لا يخرج عن دائرة معينة، وهذه الدائرة هى دائرة الحقائق الموضوعية، دائرة الموجودات التى ترتبط بالحواس، إما ارتباطا مباشرا أو غير مباشر. إلا أن هناك أمورًا تخرج عن دائرة الحقائق والنظريات العلمية، هذه الأمور هى التى يطلق عليها الفلاسفة اسم «القيم البشرية»، فحب الفضيلة مثلا والدفاع عنها، وكذلك حب الخير والتعلق به، وبغض الشر ومحاربته، والإيمان بالعدل والرحمة، كل هذه أمور لا تجدى فيها تجارب علماء الكيمياء ولا علماء الفلك ولا مشاهداتهم، ولا تنطبق عليها طريقة «باكون» ولا المنطق الاستقرائى؛ ذلك لأنها ترتبط بما هو أعمق من هذه جميعا، ترتبط بالحياة الروحية للنفس البشرية، فنحن نؤمن بالخير ونحارب الشر لأن هذا صادر عن عقيدة راسخة أساسها الدين، ونحن لا نتقبل جدلاً فى إيماننا هذا لا من علماء الكيمياء ولا من علماء الفلك ولا من غيرهم، ولا يعنينا فى هذا أمر النظريات أو الحقائق العلمية، بل إننا نحيا ونموت مؤمنين متمسكين بعقيدتنا ندافع عن الخير وعن الفضيلة وعن العدل، ونحارب الشر والرذيلة والظلم، سواء أكانت الأرض هى التى تدور حول الشمس أو الشمس هى التى تدور حول الأرض، سواء أكانت الأجسام تتبع فى سقوطها آراء أرسطو أو مذهب جاليلى.

صحيح أن العلم يعنى بالحقائق الموضوعية، وأن الدين يعنى بالقيم الروحية، ولكن طلب العلم فى ذاته مبنى على قيمة روحية هى حب الحق، فطالب العلم طالب حقيقة، ولذلك كان الدين مشجعا على طلب العلم ودافعا إليه، ولذلك كان من الواجب على رجال العلم ورجال الدين أن يتعاونوا ويتناصروا فى خدمة الحق وفى خدمة الفضيلة، فإن فى تعاونهم وتناصرهم رفاهية البشر وسعادتهم.

حديث إذاعى فى ٢٩ / ٣/ ١٩٤٥

فى الوقت الذى نقوم فيه بإنشاء جامعة حديثة بين ظهرانينا نتمثل فيها ألبابنا ودرر قرائحنا، وتكون برهانا على كفايتنا فى الابتكار، ومقدرتنا فى استكشاف الحقائق العلمية والإضافة إلى ذخر العالم البشرى منها، فى هذا الوقت وجب أن ترتفع ثلاث صيحات:

فالصيحة الأولى: إلى آذان من طرقوا باب البحث العلمى من أبناء وطننا وذاقوا حلاوته، وأغلبهم لا يزالون فى مقتبل أعمارهم وغرة شبابهم؛ إلى أولئك الذين احتكوا بأساتذة الجامعات الغربية ورأوا كيف يكون الشغف بالبحث والانهماك فى طلب الحقيقة لذاتها؛ إلى أولئك الذين عاشوا فى أجواء الحياة العلمية وتجلى لهم جمالها؛ إلى أولئك الذين طالعوا تاريخ النهضة العلمية الحديثة وعرفوا ما لاقاه رجالاتها من الصعاب فى سبيلهم، وما ذللوه من العقبات فى طريقهم: إلى هؤلاء نرسل الصيحة: بأن واصلوا أبحاثكم بالروح العلمية الصحيحة، واصلوها، فمواصلتها حق عليكم للعلم، ولأمتكم ولأنفسكم، ولا يثنيكم تجشم مشقة، ولا يلهينكم مظهر من مظاهر الحياة الخلابة، ولا يقعدكم عدم اكتراث زيد أو حسد عمرو، بل ليكن فى مقاومتكم لهذه القوى وتغلبكم عليها فخر آخر يضاف إلى فخر قيامكم بواجبكم السامى، ولنتذكر أن كل اسم مصرى جديد يضاف إلى صفوف بحاثى العالم، وكل فصل ينشره أحدنا فى مجلة علمية، أو ابتكار يحدثه فى فرعه الخاص، كل واحدة من هذه بمثابة دعاية فى العالم أجمع ترفع من شأن وطننا، وتعلى من قدر المصريين بين الأمم، ولنتذكر أيضا أن المستقبل مملوء بالمفاجآت، وأن الحقيقة بنت البحث، وأن فى البحر - كما يقول الإنكليز - أسماكا أكثر مما خرج منه، وما كان نيوتن يعلم فى مقتبل عمره أن اسمه سيكون على ألسنة العالم بأسره إلى مدى الدهر، ولعل

منا من يهديه البحث إلى علم يكون فيه تخفيف مصاعب الحياة على البشر، أو إضافة إلى سعادة المجموع الإنسانى، فمن يدرى؟.

والصيحة الثانية: إلى آذان من رزقهم الله الجاه والثراء من بيننا، ورزقهم أيضا ضمائر تقدر واجبهم نحو أمتهم، وبصائر تهديهم إلى الرشاد؛ من يريدون أن يعيشوا معززين مكرمين فى أمة عزيزة مكرمة، إذا هم فارقوا هذه الديار ظلت أسماؤهم حية بين ظهرانى الأجيال المقبلة، وإلى من سمعوا بما قام به روكفلر وكارينجى من المساعدات للعلم... إلى آذان هؤلاء نرسل الصيحة: بأن اجعلوا للبحث العلمى فى مصر نصيبا من جودكم، فنعم الغرض لبذل المال، ويا حبذا القصد بخدمة الجاه!..

والصيحة الثالثة: إلى من ولتهم الأمة زعامتها وألقت إليهم بمقاليد أمرها؛ من يعرفون كيف تساعد الحكومات العلم، وتشجع البحث والابتكار؛ من يريدون أن تفخر مصر بنظام حكومتها، وتباهى بمقدرة قادتها وبعد نظرهم وقدرهم لشأن النهضة العلمية الحديثة وتشيعهم للعاملين الغيورين، وتوفير أسباب نهوضنا العلمى... إلى آذان أولئك ترتفع الصيحة: أن خصوا البحث العلمى بنصيب فى ميزانية الدولة، فهو من أقوى لوازم كيانها وأهم العوامل على زيادة رفعتها وعلو شأنها، واشملوه برعايتكم وحسن عنايتكم، وشرفوا من يساعده بماله منا من نياشينكم، فنعم الشرف مساعدة العلم وحبذا الوسام مؤازرة العرفان.

هذه ثلاث صيحات قد تستفز النفوس وتحرك العواطف، وما دام فى مصر همم عالية، وبين جوانحنا قلوب سليمة، تتوق إلى المجد، وينبض فيها دم المروءة، فلن يؤثر قول المتشائمين أو تثبيط المتقاعدين، والله الهادى إلى الصراط السوى.

جريدة الأهرام فى ١٧ أبريل ١٩٢٥

الحياة العلميـة فى كل أمة تصل إلى أبعد من مجرد المعـرفة، فقديما قيل: علم بلا عمل كشجرة بلا ثمر، والتبحر فى العلم والابتكار فيه إنما يتاح للأقليـة الضئـيلة، أما الأغلبيـة الساحقـة فتطلب العلم كـوسيلة لا كفاية، وليس فى هذا الخفض من شأن العلم، ولا المساس بمقامه، فالعلم منشأ لذة فكرية فى ذاتـه، وهو أيضا قوة لحل المشكلات البـشرية، فلذته وقيـمته مضـاعفتـان، والحياة العلمـية بيننا يجب أن تشمل هذه الناحـية التطبـيقيـة للعلوم، وكمـا أنه من الخطأ أن يقتـصر تفكيـرنا العلمى على الناحية المادية. فكذلـك من الخطأ أن يقتصر على الناحيـة الأكاديمية، بل إنى لا أعدو الحقيقة إذا قلت إن مستـقبل مصر فى الجيل القادم وما بعده سيبنى على مقدار نجاحنا فى إنشاء الروابـط المتينة الحية بين العلوم البحتة وبين العلوم التطبيقية، أو بين العلم والعمل (الصناعة). . .

ولابد من الإشارة إلى ناحية أخرى من نواحى حـياتنا العلمية يجب علينا أن نميـزها بالعناية فى السنين القادمـة، هى ناحية التـأليف العلمى، وأقصد بالتـأليف العلمى تدوين العلوم باللغة العربية بحـيث تصبح لغتنا غنية بمؤلفاتها فى مختلف العلوم. .

ونحن إذا شئنا أن نعـيد إلى لغتنا مجـدها العلمى، فعلينا أن نعنى بتشجيع التأليف والتـدوين والنقل. . . وموضوع التأليف العلمى وارتباطه بحياتـنا الفكرية إنما هو جزء من موضوع أوسع وأعم، ألا وهو الـعلاقة بين حياتنا العلمية الماضية والمستقبلة، وهو موضوع الأسس التى يجب أن نبنى عليها صرح مجهودنا العلمى، فالحياة العلمية فى كل أمة عنصر هام من عناصر ثقافتهـا العامة، وكما أن الأمة المتحضـرة تكون لها ثقافة أدبية ترتبط بتاريخها وتتجسم فى لغتها ويكون عنوانا عليها ذلك التراث الخالد من شعر شـعرائها ونثر كتابهـا، وكما أن الأمة المتحضـرة أيضا تكون لها

ثقافة فنية تتمثل فيما أبدعته أيدى فنانيها فى مختلف عصور تطورها من تلك الرموز الملموسة على المشاعر الخفية، تلك الرسالات الملهمة التى تنبعث من قلب الفرد فتصل إلى قلب الأمة، وربما تعدته إلى قلب الإنسانية ذاتها، أقول: كما أن الأمة المتحضرة تكون لها هذه الثقافة الأدبية وتلك الثقافة الفنية، وغير هاتين من ثقافة خلقية ودينية وسياسية وما إليها، كذلك تكون للأمة المتحضرة ثقافة علمية ترتبط بتاريخ التفكير العلمى فيها وتحتوى ما ابتكرته عقول أبنائها من الآراء والنظريات العلمية، وما وصلت إليه من الكشوف فى سائر ميادين البحث العلمى، وما فعلته وهذبته واستساغته من آراء غيرها مما دخل فى صلب المعرفة البشرية على مر العصور والأجيال.

وحياتنا العلمية فى حاجة إلى أن نتصل بماضينا فنكسب بذلك قوة وحياة وإلهاما، ونحن فى مصر اليوم ننقل المعرفة عن غيرنا ثم نتركها عائمة لا تمت إلى ماضينا ولا تتصل بتربيتنا، فهى بضاعة أجنبية عليها مسحة الغرابة، غرابة فى اللفظ وغرابة فى المعنى، إذا ذكرت النظريات قرنت بأسماء أعجمية لا يكاد المرء منا يتبين معالمها، وإذا عبر عن المعانى فبألفاظ مخيفة يفرّ منها الفكر، وترتبك أمامها المخيلة، فيجب أن نعمل على تغيير هذا الحال...

التأليف العلمى وإحياء كتب العرب وتمجيد علمائهم، أمور ثلاثة يجب أن تدرج فى جدول أعمال حياتنا الفكرية فى المستقبل القريب

مجلة الحديقة والمنزل فى أول نوفمبر ١٩٤٣

*** فى النقد الأدبى**

عزيزى الأستاذ توفيق الحكيم

لطالما تاقت نفسى إلى رؤية أدب عربى أجد فيه الغذاء الروحى واللذة الفكرية، اللذين ألفتهما فيما أطلع عليه من الأدب عادة، ومع إيمانى باليوم الذى يرتفع فيه أدبنا إلى المستوى العالمى، كنت أشعر بأن هذا اليوم سيجىء بحكم طبيعة الأشياء متأخرًا، فربما رآه أهل جيلى، وربما حبت به الظروف أبناء جيل قادم. فلما قرأت «أهل الكهف» ـ الذى تكرمت علىّ بنسخة منه ـ علمت علم اليقين أن اليوم الذى كنت أترقبه قد طلع وملأت شمسه الآفاق.

تعلم أننى لست من الأدباء، ولا من المتأدبين، وإنما نظراتى إلى الأدب كنظرتى إلى غيره من نواحى الفن الإنسانى، نظرة الرجل المثقف العادى يطلب الجمال والإلهام الصادق حيث يجدهما، كما يتطلب مستوى خاصًا من التفكير المطلق المخلص فيه لوجه الحق حيث وجد، وفى رأيى أن «أهل الكهف» قد ارتفع من كل هذه النواحى إلى أسمى ما قرأته. وإن كانت لى ملاحظة على كتابك فربما كانت شيئا من التجديد فى دائرة ما تناولته فيه من الموضوعات، فما كان أشوقنى إلى رؤية بعض المسائل الاجتماعية مثلا تعالج بنفس القلم الذى صور لنا إيمان المسيحيين الأولين، وقابل لنا بين الحقيقة والتاريخ، ولكن لعل ذلك شراهة منى، فالوليمة ولا شك فاخرة، وإن كانت تشحذ شهية أمثالى!

لا تنتظر منى نقدًا فنيـا لروايتك التمثيلية، فـأشخاص الرواية كلهم أحياء يتحـركون ويلمسون ـ **ربما كان الملك أقل الشـخصيات وضـوحًا، ولعلك تريده عديم الشخصية** ـ والمواقف على أشد ما تكون من التشويق والتأثـير، وإلى حد مـا أستطيع أن أرى، سـتكون روايتك ناجحـة على المسرح إذا اسـتطعت أن تجد لها ممـثلين يفهمـون أدوارهم فيهـا، وأظنها تكون ناجحة بدون ذلك!

ولم يبق على بعد هذا إلا أن أشكرك على التحية التى انطوى عليها إرسالك نسخة من كتابك إلى، وأن أرجو لك ما أنتظره لك من التوفيق، والسلام.

رسالة إلى توفيق الحكيم بتاريخ ٢٣ يونية ١٩٣٣

من أغانى شوبرت الخالدة، الأغنية التى صاغ فيها مقطوعة شكسبير المعروفة والتى يترنم فيها باسم «سيلفيا»، وقد تعلقت بهذه القطعة منذ أن كنت طالبا بإنجلترا، وخطر لى أخيرًا أن أضع لها ألفاظا عربية بحيث يمكن أن نغنيها بلغتنا. ولعله قد آن الأوان لأن تدخل هذه الأغانى الشبيهة بالكلاسيكية فى ضمن ثقافتنا الموسيقية وتنتشر بيننا، وقد حاولت قدر استطاعتى أن أجعل الألفاظ العربية منطبقة على التوقيع الموسيقى، ومع أننى غير راض تمام الرضا عن النتيجة، إلا أننى مع ذلك أعتقد أنها تستحق النشر، إذ لعل فى نشرها ما يشجع من هو أقدر منى على أن ينحو هذا النحو. وإليك على الصفحة التالية الألفاظ الإنجليزية والألفاظ العربية التى وضعتها، وأنموذج من التدوين الموسيقى لمطلع الأغنية. (من هى سيلفيا؟) (*).

مجلة كليوباتره، فى أول يناير ٣٦



(*) نشرت بمجلة كليوباترا فى العدد الأول الموافق أول يناير ١٩٣٦، والألفاظ الإنجليزية لشكسبير والتوقيع لشوبرت.

Who is Sylvia, What is she?	من هى سيلفيا، ماذا هى؟
That all our swains commend her?	قيم الحى ثناها؟
Holy, fair and wise is she;	جمعت قدسًا حسنًا وحجى،
The heav'ns such grace did lend her,	والله الفضل أتاها،
That adore'd she might be.	كيما تعشق بين الورى
Is she kind, as she is faire?	هل رحمتها كملاحتها؟
For beauty lives with kindess;	فالرحمة للحسن قرينة،
To her eyes love doth repair,	لجأ الحب إلى عينيها
To help him of his blidness;	يتطلب لعماه معونة
And being help'd in habits there.	فهو يعان ويسكن فيها.
Then to Sylvia let us sing,	باسم سيلفيا فلنترنم،
That Sylvia is excelling,	أن سيلفيا فائقة،
She excels each mortal thing,	كل شىء قد تنسم
Upon the dull earth dwelling	فوق الثرى سابقة،
To her garlands let us bring.	لها بالزهر فلنتقدم.

بجناح من الأغانى

موسيقى مندلسون　　　　نظم على مصطفى مشرفه

[« مندلسـون» (١٨٠٩ ـ ١٨٤٧م) عـاش قليلا وتـرك فى حيـاته القصيرة أثرًا كـبيرًا، وموسيقـية غنية لا تقل ـ قيمة وعـددا ـ عما خلفه أشهـر مؤلفى القرن التـاسع عشر. وقـد وضع ألفاظ هذه القطعـة أصلا الشـاعر الألمانى العظـيم «هاينريتش هاينى» المتـوفى عام ١٨٥٦م. وقـد ترجمت إلى أكثر اللغات الحية].

بِجنَاحٍ مِنَ الأغَـــانـى　　　كَـبُـراقٍ يَطْوى الآفَـاقْ
سَأَقُودُك نَحْوَ الأمـانى　　　وأُحِلُّك أَرْضَ الأشْـــواقْ
أَرْضٌ أَفْنانُـهـا حَـــاكَتْ　　　فِى الْحُسْنِ جَنَّاتِ رِضْوانْ
أَغْـصـانُهـا لَك قَـدْ تَاقَتْ　　　إذْ أَنْتِ والـزَّهْرُ صِـنْـوانْ

فـى لَيْـلَـةٍ بَــدْرُ سَـنـاهـا　　　بالطَّـلِّ قَـد أسْكَرَ الْبَـانْ
ناشِـــرًا عِطْرَ شَـــذاها　　　مِنْ بَـيْنِ نَـوْرٍ ورَيْحَـــانْ
هَمَسَ النَّرْجِسُ فِـيـهَــا　　　وَأَسَـــرَّ لِـلْوَرْدِ نَـجْـــوَاهْ
وَانْثَنَـتِ الْغِــزْلانُ تِيــهًــا　　　إذْ بَثَّــهـا النَّـهْـرُ شَكْوَاهْ

فى ظِلِّ النَّخْـلِ الْمُـتَـرَامِى　　　مِنْ فَـوْقِ الزَّهْرِ البَـسَّـامْ
فَلْنَرْقُـدْ فى صَمْتٍ سَـامِى　　　فِى خُلْدٍ مِـنَ الأحْـــلامْ

ON WINGS OF SONG.

English words by
PAUL ENGLAND

Music by
MENDELSSOHN

On wings of song I'll bear thee
To those fair Asian lands,
Where the broad wave of the Ganges
Flows on through its flow'ry strand.
For there, in a roseate garden,
Where the moon charm'd breeze is dumb,
Thy lovely kin the lotus,
Wait till their sister come.
The lovely Lotus are waiting,
Until their sister come.
The violets whisper together,
And gaze on the star-lit skies,
Tenderly swaying, the roses,
Will mingle with perfum'd sighs.
Over the leaves come leaping,
The soft-eyed wary gazelles,
And from the sacred river,
A distant murmur swells.
Beneath the palm-tree shadows,
Strech'd on the breathing flowers,
We'll drink the love-laden silence,
And dream through blissful hours.

الأصل الإنجليزى

بجناح من الاغانى



الموسيقى

مواقف ... ذات مغزى:

* عندما وجهت جامعة « برينستون» Princeton الأمريكية الدعوة إلى الدكتور مشرفة عام ١٩٤٧ لإلقاء سلسلة من المحاضرات فى الفيزياء الذرية، واستجاب مجلس الوزارء لإلحاح الجامعة الأمريكية التى يقوم بالتدريس فيها آنذاك نخبة من أشهر علماء العالم من بينهم «ألبرت أينشتين»، فوجىء الدكتور مشرفة عند ركوب الطائرة بأن الملك السابق فاروق ألغى قرار مجلس الوزراء بندبه أستاذا زائرا لأمريكا، ولكنه أصر على مواصلة السفر رغم هذا الإلغاء، وسافر على نفقته الخاصة، وعندما وصل إلى انجلترا أحس بالتعب وفضل الذهاب إلى سويسرا للعلاج، ثم اضطر للعودة دون أن يزور أمريكا.

* طلب أحد مديرى المصالح من أخى مشرفة وأحد الباشوات أن يصحباه ليتوسطا لدى الدكتور مشرفة لإلحاق أبنه بالجامعة رغم قلة٤٧ مجموع درجاته، لكن الدكتور مشرفة قال لهم بأدب « العدل يقضى بتكافؤ الفرص، وهو عندى المقياس الدقيق الذى يرتضيه ضميرى».

* حدد الدكتور مشرفة موعدا لضابط حرس الكلية يقابله فيه بمكتبه، فتأخر الضابط دقيقتين، وما إن رآه الدكتور مشرفة حتى ابتدره بقوله: «انظر فى ساعتك تجد أنك تأخرت دقيقتين، والدقيقة الواحدة لها قيمتها فى هذا العصر.. والوقت من ذهب فلا تتركه يضيع سدى، وكن أمينا على مواعيدك».

* عندما استدعى أحد كبار رجال وزارة المعارف (التعليم) ذات مرة عمداء الكليات ليجتمعوا فى دار الوزارة، تخلف الدكتور مشرفة لأنه لا يقرّ أن يجتمع العمداء إلا فى المكان المخصص لهم بالجامعة.

* أعلن الدكتور مشرفة فى شجاعة دستور التقاليد الجامعية الصحيحة بقوله: «إنى لا أطلب من القادة والحكام فى مصر سوى ترك الجامعة تؤدى رسالتها السامية، بعيدة عن الميول السياسية، وترك الطلبة لإتمام دراستهم فى هدوء واستقرار.. إن أفضل الزعماء والكبراء عندى هو من يؤدى للجامعة مساعدة، ويشد أزر العلم، ويعاون العلماء على

أداء رسالتهم فى هدوء، ويحفظ لهم كرامتهم واستقلالهم».

* «اقترح الدكتور مشرفة على مجلس الجامعة قبول الطلبة والطالبات من البلاد العربية والأفريقية بكلية العلوم، ووافق مجلس الجامعة على رأيه، وفى حفل حضره الملك عبد العزيز آل سعود والملك السابق فاروق بالجامعة سنة ١٩٤٦ م قال مشرفة: «إن هذه الجامعة دار للآداب والعلوم لتثقيف مصر والبلاد العربية، وتحرص على المشاركة فى الحضارة البشرية كلها، وتود أن تساهم فيها بنصيب يكافىء مكانة العرب وتاريخهم، وإنها ساعية جهدها لتردّ إلى العرب مكانتهم فى العلوم والآداب، وتصل حاضرهم بماضيهم، وتعد لمستقبل عظيم مجيد..».

* عندما أقام اللورد كليرن (سير مايلز لامبسون) حفلة فى دار السفارة البريطانية، وكان الدكتور مشرفة يقف بجواره، تقدم منه أحد المسئولين فى السفارة وسأله ببرود وسخرية: «أحقا يا دكتور مشرفة إن أغلبية الشعب المصرى تكرهنا؟!!».

Do you think that the majority of Egyptians hate us?.

فرد عليه الدكتور مشرفة ببرود أشد وأنكى، قائلا: «ولماذا تغفل الأقلية يا سيدى»: **What is wrong with the minority?**

ووجم الجميع، وبهت كيلرن، وانصرف الدكتور مشرفة بعد أن اقتصّ لكرامته وكرامة أمته.

* عندما مُنح الدكتور مشرفة رتبة «الباشوية» سنة ١٩٤٦م، لم يذهب إلى القصر للشكر كما جرى العرف، وعندما توافد أعضاء هيئة التدريس لتهنئته، استنكر منهم ذلك قائلا: «هل الباشوية أعلى رتبة من الدكتوراه؟ إن لقبى الذى أعتز به «دكتور» وليس «باشا»».

* آخر ورقة وقّع عليها الدكتور على مشرفة آخر مرة حضر فيها لكلية العلوم جامعة القاهرة قبل وفاته فى يناير سنة ١٩٥٠م كانت «شيكا» من حسابه الخاص مساعدة لطالب فقير لم يتمكن من سداد مصروفاته. وقد رد البنك هذا الشيك لعدم إمكان صرفه لأنه وصله بعد وفاته، فتكرمت السيدة الجليلة حرم العالم النبيل بتحرير شيك آخر من حسابها الخاص.

* * * * *

أهم المراجع

- أعمال الدكتور علي مصطفى مشـرفة (بحوث علمية - كتب مؤلفة ومترجمة - محاضرات - مقالات - أحاديث إذاعية).

- محمد بن مـوسى الخوارزمى، كتاب الجبر والمقـابلة، تحقيق على مصطفـى مشرفـة ومحـمد مرسى أحـمد، مطبـعة بول باربيـه، القاهرة ١٩٣٧.

- د. عطية مـشرفة، الدكتور على مـصطفى مشرفة. ثـروة خسرها العالم، مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، ١٩٦٦.

- محمد محمد الجوادى، مـشرفة بين الذرة والذروة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠.

- أحمد عبـد الرحمن سباق، الدكتور على مصطفى مـشرفة باشا، يولية ١٨٩٨ - يناير ١٩٥٠، الطبعة الثانية، القاهرة، مايو ١٩٥٠.

- مقابلات شـخصية مع بعض تلامـيذ مشرفة وأبناء جـيله حفظهم الله.

رقم الإيداع	٩٨ / ٨٧٠٧
I. S. B. N الترقيم الدولى	977 - 10 - 1142 - 2